

حُذْ عَيْنِي لَكِي يَتَحَرَّرَ خِيَالِي

متى يبدأ الشُّعر؟ كثيراً ما تساءلتُ في طفولتي عن كيفية تكوُّن الشعر عند الشاعر؟ أو ما هي اللحظة الأولى التي كتب فيها شعراً؟ وكنت كلما التقيت شاعراً أسأله السؤال ذاته: متى كتبت الشعر لأول مرة؟ وكنت أحصد الإجابات الكرونولوجية دائماً. أي تأريخ بداية الشعر بتأريخ القصيدة الأولى. ولم أكن أعني هذا بسؤال، إنما كنت أود رصد اللحظة التي تنبت فيها داخلنا نبتة الشعر الأولى، ولو لم نكتب قصيدة، في كل قراءاتي عن حياة الشعراء وجددتني أبحت عن هذه اللحظة. ويبدو أن سبب اهتمامي بهذا الأمر هو عجزتي عن تحديد لحظتي الخاصة. فكأنني كنت أبحت عن لحظتي الخاصة بين أوراق الشعراء الآخرين. ذلك أنني أؤمن أن لحظة الشعر الأولى تسبق لحظة القصيدة الأولى. ثمة نقطة مفصلية في الحياة نغدو عندها شعراء، وقد تتأخر القصيدة

متى يبدأ الشُّعر؟ كثيراً ما تساءلتُ في طفولتي عن كيفية تكوُّن الشعر عند الشاعر؟ أو ما هي اللحظة الأولى التي كتب فيها شعراً؟ وكنت كلما التقيت شاعراً أسأله السؤال ذاته: متى كتبت الشعر لأول مرة؟ وكنت أحصد الإجابات الكرونولوجية دائماً. أي تأريخ بداية الشعر بتأريخ القصيدة الأولى. ولم أكن أعني هذا بسؤال، إنما كنت أود رصد اللحظة التي تنبت فيها داخلنا نبتة الشعر الأولى، ولو لم نكتب قصيدة، في كل قراءاتي عن حياة الشعراء وجددتني أبحت عن هذه اللحظة. ويبدو أن سبب اهتمامي بهذا الأمر هو عجزتي عن تحديد لحظتي الخاصة. فكأنني كنت أبحت عن لحظتي الخاصة بين أوراق الشعراء الآخرين. ذلك أنني أؤمن أن لحظة الشعر الأولى تسبق لحظة القصيدة الأولى. ثمة نقطة مفصلية في الحياة نغدو عندها شعراء، وقد تتأخر القصيدة



بالبطاشير

فاطمة ناوعوت

ميلاده. وربما هذا يناقض أفلاطون في تجربة "الكهف" حين قال لتخليخ أننا لا نرى البشر بل نرى ظلالهم المنعكسة على حائط الكهف الذي نسكنه ولم نبرحه مطلقاً منذ مولدنا. هل يمكن أن نتخيل أن للبشر هؤلاء ملامح وتفصيل وحيوات متباينة؟ أم سنظن أنهم هكذا محض تهويمات متماوجة مسطحة على جدار؟ بالطبع أفلاطون كان يرمي إلى التأكيد

على كوننا لا ندرك الحقيقة كاملةً بحواسنا المحدودة، لكننا دوماً ما نرى جزءاً يسيراً منها أو لنقل إحدى صورها. لكنني أستشهد بهذه التجربة لأبرهن على عكس ما أراد أفلاطون. فصورة الظلال المتماوجة على الحائط قد لا تعطينا تصوراً دقيقاً وصحيحاً عن شكل الإنسان وتكوينه الفيزيقي بأبعاده الثلاثة، غير أن غياب المعطيات البصرية من شأنه شذخ خيالنا إلى الدرجة القصوى لنخلق ذوات متخيِّلة لا وجود لها إلا في مخيالنا. بل لو مددنا التجربة على خطها وعصبنا عيون قاطني الكهف هؤلاء - بفرض أنهم لم يروا بشراً من قبل ولم يروا أنفسهم أيضاً - وأخضعناهم للرؤية السمعية وحسب، أي الرؤية عن طريق حاسة السمع فقط، ثم أعطيناهم أوراقاً وأقلاماً ليرسموا شكل الإنسان كما يتخيلونه، ألن نحصل على ذخيرة خيال لا حدود لها، وإبداعات تكوينية تملأ موسوعات تشكيلية؟ ما أريد أن أقول إن للبصر نعمة هائلة، لكنه لونٌ من أسر الخيال. وربما

كان هذا هو السبب الذي دفع علماء النفس والباحثين في تربية الطفل إلى نصح الآباء بالحد من ساعات مشاهدة الأطفال الأفلام المتحركة، الكرتون، لأنها تبتسر مقدرة الطفل على إطلاق خياله. ونحن، الذين تربينا على قراءة "المكتبة الخضراء" التي تحكي لنا عن الجنيات والغابات والساحرات والكهوف المسحورة وغيرها مستعينة بالقليل من الصور والكثير من الكتابة، ندرك كيف تكوُّن خيالنا، فقد كنا نقرأ الفقرة السردية ثم نسرح قليلاً لنخلق ونركب صوراً ومشاهد تناسب ما قرأنا. كنا مضطرين إلى خلق رسوماً المتحركة بأنفسنا معتمدين على خيال رح غير مأسور بمنطق ولا اتساق لوني أو اتزائي. لهذا قال ألبرت آينشتين: الخيال أكثر أهمية من المعرفة. ذلك أن الخيال يوسع خلق السؤال الذي بحث على البحث عن المعرفة. ولهذا لا بد أن يمتلك العلماء، وليس فقط الشعراء، الكثير جدا من الخيال. المجنون بالضرورة.

fatma_naoot@hotmail.com

مدينة صنعاء .. سفر داخل السفر

الوقت - صنعاء - عباس يوسف

إمعانا في اللحظات التي ساقطنا باتجاه صعود جبل كوكبان، حيث الصور الذهنية تتصاعد وتتداخل بالصور الفوتوغرافية بكل ما حولها من عناصر فنية مثيرة تشكل تلك اللوحات، وزادت حدة الصعود وأمعنت النظر في الأسفل صوب الأودية السحيقة فشعرت أن المسافة التي تفصل نقطة النهاية حيث "مطمح الوصول" وخط الأرض الأسفل بأنها برزخ من ضوء، والضوء ضرب من حياة، ارتفاع حدة العمق والصمت يحرض على السؤال.. على الرغبة في الاكتشاف، والاكتشاف معرفة والمعرفة طمأنينة ورفع حجاب، جبل تنبتق الإضاءة من ثنايا صخوره، ثمة شرائط في العمق، ومن العمق تضيء الأماكن - وتضاء أيضاً - ذات اللون البنفسجي / بنفسي يلاحق المساحات الخضراء.

أودية "جبلية" سوداء تطل على الأخضر، ونحن في غمرة الحملاقة باتجاه نقطة التلاشي نحو الشجر قال محمد العامري كعادته بخفة مازحاً لن ترى شجرة زيتون هنا/ كل له ثقافته، الزيتون في فلسطين، تحرك باتجاه آخر، وتكرني أواجه شكل الأغنام ذات اللون الأسود الفحمي المشع التي أزاحت عن ناظري صورة لون الصخرة التي كنت أظن أنها كالحة اللون كالوميض الذي يهز البدن.

من عل خلف الوادي السحيق، خدود وخطوط وصور لطبيعة رسمت أشكالها بحب وهندست عناصرها ببراعة واقتدار أكثر بخفة وعناية بعين مهندس وقلب رسام.

قال مالك وهو من الأصدقاء المرافقين خفاف الظل "نحن في سفر داخل السفر" سافرت لحظتها أتابع طيراً ارتفاعه عن الأرض لا يتجاوز المتر يمر بالقرب من حمار ربط وحيداً حتى ملّ طول الانتظار، ثمة قطع أغنام اختلطت بقعها القهوانية بالأسود، فاستحالت في الفضاء الفسيح صوراً جرافيقية شفافاً في تقاطعها، ومشهد سير الأغنام المنتظم وكأن هذا السير يتقصص تلك المنازل البعيدة إلا من المرعى. كانت بقايا منازل وأثار أطلال لها، الطلل دائما يبقى السؤال قائماً ويحوم حوله، حول تاريخه وماهيته وجوده وتحوله إلى طلل. قيل لنا إن تلك أطلال منازل كانت ليمنيين يعتنقون اليهودية دينا يظنون هذه الأرض منذ زمن بعيد، ولظرف تاريخي تركوها، فقام الأهالي من المسلمين بهدمها وبنوا من أحجارها بالقرب منها وعلى أنقاضها بيوتا أخرى لهم، كان تراكماً من حجارة ومعرفة ودين، أليس التاريخ إلا نسفاً وبناءً وتراكماً.

يلفحك نسيم الارتفاع وأنت تطل على الوادي وعلى ناسه برأفة المرتفع باعتبار الارتفاع أماناً ليستقر قلبك منه وفيه، ليضمن قلبك أكثر وعيناك تلامس لمعان صخور الجبل لتبقى على توازنك الحر، بإخذك الأصدقاء إلى حجرة تستظل برفيف أجنحة السنونو وتستلطف الضوء القادم من نوافذها المفتوحة على غيوم امتزج أزرقها برحيق رماديه المبلل بالضوء الشفيف النازل من علو إلى علو، يكفي أنها حجرة تتباهى بموقعها على القمة وبالكثير ممن وضعوا راحتهم على سطحها.

ختمة من قات

في الحجرة رحت وبلا شعور، رحت أرقب تخليق أسراب الغربان

2-2

مدينة من حجر تظهر مدى المهارة والرؤية المتميزة والقدرة المعمارية التي كان يتمتع بها معماريو وبنائو ذاك الزمن



وبخصوصية الحجر وأثره ودوره الفاعل في عملية البناء المستقبلي. شكلها العام يظهرها نسفاً متمائلاً إلا أنه مختلف ومتباين ولكل جمالياته، صنعاء حاضرة اليمن.. عاصمة البلاد السعيدة.. عروس الجزيرة العربية هكذا أسماها مؤرخو اليونان.

لشغفي بهذا الطير الخرافة في الفضاء المطل علينا، وهي منتشية بما تمتلك من حرية مطلقة تحسد كثيراً عليها، وكأنها تملك الكون كل الكون، جيء بالشاي ببرق أحمر يشف من زجاج استكاناته كالمرايا، للشاي في هذا الوقت أهميته ونكهة الاحتساء، وللقات أيضاً طقس الاختيار الدقيق والظف الرقيق. يقول الشاعر علي الجلاوي - وعلى رواية أخرى أن يد القاطف عليها أن تختم بالعقيق - فاه من القات وطقوسه والمقيال "مكان تخزين القات" ومن الأصدقاء، أه من حزمك يا مالك أيها الجميل ومن قاتك، حاولت تعليمنا شيئاً من درسمك القاتي الباهي كنتك لم تفلح، لربما لوهن في نفوسنا ولعدم قدرتنا على استيعاب درسم وكأننا في حضرة "عرفان" لم نعرف معنى التضرع ولم نستطع ملامسته، أعني ملامسة المجرب الحاذق "لأوراقه في تلك الجلسة القاتية العفوية ولم نلتفت لختمة العقيق.

في رحلة يصطحبك اليمينيون فيها إلى كوكبان عليك التحلي بالصبر، صبر المثابر على الحب، الصبر على الكرم الذي يصفون به والطيبة التي يتحلون بها، على قلوبهم المشرعة للحب دوماً للناس، صبرك هذا هو بمثابة تحفيز على المشي على حافة الجبل المحفوف بكثافة الحجر الصلد وبالغريبان تحوم على الرؤوس في الفضاء الوعر الممتد من الجبل إلى الجبل، من الفضاء إلى السماء تخري على التحليق بعيداً بالأفكار وللسيطرة على رغبة الخوف الأولى ولاستعادة طمأنينة الروح، بالاستدراك أنك في اليمن السعيد.

المشهد الأخير

آخر المشاهد واجهتنا المدينة القديمة بعراقتها، فأضفت على فرحنا فرحاً، وأيقنا أن ثمة علاقة جدلية تربط زخارف المنازل.. أشكال النوافذ وأحجامها - ربما حددت أحوالهم الاجتماعية - بناسها وبما هم عليه من ونام وسلام، ولربما الحالة الاجتماعية.

مدينة من حجر تظهر مدى المهارة والرؤية المتميزة والقدرة المعمارية والجمالية الفائقة التي كان يتمتع بها معماريو وبنائو ذاك الزمن من علم ودراية ومعرفة بحال الطقس وأحوال المناخ



التمرد فلنصحب أصحابه. التمرد، نعم، إنه التحرر لكن بالكتابة؛ الكتابة التي تتجاوز الحدود والتي يروي تاريخها القصير، منطلقاً من الضحكة الأفريقية لأحمدو كوروما الذي أدخل ثورة على اللغة من خلال روايته "شموس الاستقلال".

إذا كان نيمرود يقيم في المنفى، فإن أرضه هي اللغة الفرنسية، التي يقر أن له معها "علاقة عشق وشغف". وتتغذى جماليته من سنغور، الوريث بدوره للنوع البودليري، ولكن أيضاً من التزام مونغو بيتي وخیال كوروما أو من فن النقد الخاص بأندریه جيد. هذه كلها أسباب تمنعنا من أن تكون فرنكوفونيين بعد اليوم "الكاتب الفرنكوفوني هو بدعة، إذ أنني ككاتب لا أكتفي لا بالكلمات ولا بالكتابة الفرنكوفونية؛ بل أخلق عالماً. هو العالم الفرنسي الجديد".

تشكل "المحاولات الأدبية" لنيمرود فعل حب ولد من العناق الجسدي الذي يولد منه كل ما هو كوني، مع حرية الخلاسية الثقافية التي تختار حيث تريد ما تريد، لتصنع من العناصر المتصالحة، عملاً لذيذاً وقوياً (سنغور). لا يمكننا مقارنة تراء الأدب الأفريقي من دون الدخول إلى عالم نيمرود، "المجرة الأفريقية المنقبة في المجرة الفرنسية".

ماري جويل روب

فيعد صدور كتابين له من هذا النوع الأدبي: وهما "مدفن ليوبولد سنغور" (Le Temps qu'il fait)، 2003 و"ليوبولد سنغور" بالتشارك مع أرمان غيبير (دار "سيفيز"، 2006)، يؤكد نيمرود تميزه في مجال يدعو إليه اختصاصه في الفلسفة.

يجمع كتاب "الشيء الفرنسي الجديد" مقالات - ولكن منها ما هو غير منشور - صدرت في عدة مجلات منذ العام 2003، وقد ولدت عبارة "الشيء الفرنسي" على يد سان جون - بيرس، والعنوان الذي اختاره نيمرود يشير إلى الأدب الأفريقي الناطق بالفرنسية والمسمى كذلك لأنه "قد ابتدع طريقة جديدة لكتابة الفرنسية". هكذا سجد في الكتاب البيان "من أجل أدب متحرر من الاستعمار"، يعرف فيه الكاتب وضعية الكاتب الإفريقي باللغة الفرنسية: تحليل للعلاقات بين "الخلاسي الثقافي" و"فئة من القراء الغربيين، هم أسيرون لمفهوم منطلق غيتوي للفرنكوفونية وإيديولوجية استعمارية جديدة تبحث عن "الأصالة" مقابل هذا التصور البالي، يقدم نيمرود نموذج "الأفريقي المدني" الذي تختلجه نفس مشاعر البيض "يكتب الأفريقي كما الجميع، وفعلاً لا فرادة لنا نستحق أن نذكرها كموروث يخصص". هذه ملاحظة تشبه الانذار لم يبق لنا سوى

إنه المجلد الأول من سلسلة محاولات فكرية معلنه. إنه كتاب "الشيء الفرنسي الجديد" الذي يجمع تأملات المنفي لنيمرود، الفيلسوف والشاعر الروائي من أصل تشادي. أفكاره مسافرة "تدق جرس الشفافية وسط الأشياء"، لكنها ترسي النتاج الأدبي الواسع للكاتب في الخليط الثقافي المتنوع للأدب - العالم. هو يفضل عبارة الأدب "الكوني"، متجاوزاً ميراث اللغة من أجل إبداع متحرر من قيود الهوية.

ولد تيمرود بينا دجانغرانغ" في انجمينا (التشاد)، وفر منها العام 1984 في الخامسة والعشرين من عمره؛ وهو يعيش اليوم في فرنسا ويدرس الأدب في جامعة ميشيغان الأمريكية. خطة النشر الخاصة بهدار "أكت سود" تقدم لنا في الوقت ذاته الجزء الثاني من ثلاثيته الروائية، "حفلة الأمراء الراقصة"، التي صدر منها الجزء الأول العام 2001 بعنوان "ساقى أليس"، إضافة إلى كتاب للمؤلف موجه للشباب وهو "روزار باركس": لا للتمييز العنصري".

نادراً ما ينكب كتاب الأدب - العالم على النوع المعروف باسم "المحاولات الأدبية" essai حيث يفضلون العمل في الروايات التخيلية.